تقدير موقف
238
يمكن 2023

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
ORSAM مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

# قراءة سوسيولوجية للممارسات الدينية في العالم العربي

فوزي بن دريدي

## مقدمة:

ترتبط مسألة الممارسة الدينية في العالم العربي بمتغيرات عديدة، أهمها عامل الزمن، فمن المعروف أن الممارسات الدينية تشهد تغييراً مستمراً بتعاقب المراحل التاريخية، فهي ليست ستاتيكية (ثابتة) بل ديناميكية (متحركة). وعامل الزمن مهم في تفسير تغير الاشكال الطقوسية في الممارسة الدينية في العالم العربي، حيث تختلف تلك الممارسات في القرون الماضية عما تشهده تلك الممارسات في الوقت الحالي، ونتوقع تغيرها مستقبلا. كذلك فأن السياقات الثقافية والحضارية (تقدم/ تخلف)، تؤثر في بنية الممارسة الدينية في العالم

مواطنون في المغرب يؤدون صلاة التراويح خلال رمضان 2022 بمسجد "لالا سكينة" بالعاصمة الرباط.

العربي، حيث ان الصعود الحضاري ينتج ممارسات دينية أكثر رصانة عن تلك التي نشهدها في حقب الانحدار الحضاري. وهنا تؤثر العوامل الخارجية المستجدة مثل (الاستعمار، التكنولوجيا الحديثة) على بنية الممارسات الدينية وشكلها، فيعمل الاستعمار - مثلاً- على التأسيس لممارسات دينية دجلية (من الدجل) تخدم أهدافه وغاياته. كما ان تطور التكنولوجيا الحديثة أثر-ولايزال يؤثر-في طبيعة الخطاب الديني وأشكال ممارسته (تنوع المرجعيات).

من جانب آخر، هنالك ارتباط وثيق بين الخطاب الديني وبنيته الداخلية وسياقات الاجتهاد وطرائق التوصيل في العالم العربي، ذلك ان سياقات الاجتهاد وطرائق التواصل لنشر الخطاب الديني تؤثر في فعاليته ومدى تأثيره على المتلقي. فضلًا عن أن المستويات المعرفية للأفراد المتلقين (متعلمين، أميين) والقدرة على الفهم والتفاعل مع هذا الخطاب الديني له أهميته أيضاً، فحتى ان كان الخطاب الديني متطوراً فان أشكال التلقي تختلف تبعاً للمستويات التعليمية للمتلقي. كما أن مكانة الدين في المجتمع عاملًا مهماً مؤثراً في طبيعة الممارسات الدينية، ففي المجتمعات التي تضع الدين في مستويات مرتفعة فان الممارسة الدينية تسود على الفضاءات الاجتماعية والثقافية، على عكس المجتمعات التي تضع الدين كنسق فرعي له مجالات محددة لممارسته (المجتمعات العلمانية أنموذجا).

## خصائص الممارسات الدينية في العالم العربي

إن التطرق الى مسألة الممارسة الدينية في العالم العربي تثير عدة إشكاليات في نفس الوقت، بدءاً من إشكالية تناول هذه المسألة بحسب التخصص وزاوية الاقتراب، فزوايا الاقتراب المعرفي تؤثر في فهم بنية الممارسة الدينية، كما ان المخرجات البحثية الحالية المنتشرة في الفضاء الأكاديمي في العالم العربي لم تتمكن من التأسيس

جامع الزيتونة التاريخي في تونس

لمقاربات خاصة، تقاطع بين الإطار الفقهي التقليدي وتطور المعرفة في المجالات السوسيولوجية والاثنوغرافية والاقتصادية وغيرها من التخصصات.

ومن جهة أخرى لدينا إشكالية التقطيع الزمني لتلك الممارسة الدينية، حيث انها ليست متطابقة سلوكيا لدى الافراد ضمن نمط واحد وانما تتعدد وتتغير وفق سياقات التغير الزمني والظروف التاريخية والسياسية، فالظروف التاريخية والسياسية تلعب دوراً مهماً في انتاج ممارسات مختلفة عند الافراد بحسب سياقات الواقع.

ان بنية الخطاب الذي يرتبط بالممارسة الدينية في العالم العربي، يعد عاملاً مؤثراً مهماً في هذه المسألة، حيث ان الممارسات الدينية تستمد روحيتها من طبيعة الخطاب الديني الذي يتصل بسياقات الاجتهاد، من حيث تقدمه أو تراجعه، بحسب نمط التقدم الحضاري أو تراجعه. حيث يشهد العالم العربي تراجعاً في الاجتهاد الفقهي، وامتد هذا الأمر إلى التراجع في الاجتهاد الفكري، من حيث القدرة على انتاج معرفة تقارب الواقع العربي، كل هذا أثر في طبيعة الممارسة الدينية في هذا الفضاء الاجتماعي.

الممارسة الدينية في العالم العربي تتأثر بطبيعة تأثر البنية الداخلية بالمؤثرات الخارجية الوافدة، وكذلك تتأثر بمستوى الفاعلين الاجتماعيين، من حيث المستوى العلمي لهؤلاء الفاعلين وتمثلهم للأطر المرجعية للدين، كما أن مكانة الدين في مجتمع من المجتمعات يؤثر في أشكال وحجم ممارسة الدين داخله.

بحسب الكثير من الباحثين، فان الممارسة الدينية في العالم العربي

هنالك ارتباط وثيق بين الخطاب الديني وبنيته الداخلية وسياقات الاجتهاد وطرائق التوصيل في العالم العربي، ذلك ان سياقات الاجتهاد وطرائق التواصل لنشر الخطاب الديني تؤثر في فعاليته ومدى تأثيره على المتلقي.

تتوجه نحو ما يسمى بـ«التدين الفردي" أكثر من توجهها نحو "التدين المؤسسي". يعتقد البروفسور بريان تورنر، الأكاديمي البريطاني المختص بعلم الاجتماع الديني، بأن "الإنسان المعاصر سيحافظ على معتقداته وإيمانه بدون ارتباط بالمؤسسات الدينية وبدون انتماء لها، ولعل ذلك ما يُحِيلنا على نوع من التدين الجديد. وهو ما يُفضي بنا إلى أن نستنتج أن العالم اليوم أمام موجة جديدة من التدين تتميز بتدين فردي شخصاني"[1].

ان التحول التاريخي لمسألة تمثيل الفاعلين الاجتماعيين للدين كمسألة شخصية، تعد قضية في غاية الأهمية، وتحتاج للمزيد من التحليل والنظر فيها، باعتبار ان الدين (تاريخياً) هو مسألة جمعية وليست فردية.

ان العلمانية أسست لفكرة الفردانية في ممارسة الدين كاعتقاد خاص وذاتي لا علاقة له بالمنظومة الاجتماعية، وبهذا أصبح الدين لا يؤثر في البنيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

غير انه بالرغم من هذه الموجة التي أسست في الغرب، وعلى الرغم من امتدادها لبعض الدول العربية، الا ان ممارسة الطقوس الدينية الجماعية (الأعياد، رمضان، الحج،...الخ) مازالت تجد لها موطئا داخل بنيات المجتمعات العربية في أغلبها، ولم تحدث القطيعة بشكل نهائي بين ما هو ديني و ما هو اجتماعي.

يرى أحد الباحثين بأن بروز موجة التدين الفردي ليست سوى مؤشر على أشكال التفاوضات التي تتفاعل في الحقل الديني، والتي يعمل العديد من الفاعلين فيها على تبني مسلك ديني يناسب سياقات وجودهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي بصفة عامة. وقد سبق لبعض الباحثين أن تحدثوا عن توجه جديد سمي بـ«تحلل التقليدي" والتي تعني "إزالة الحمولات الثقافية للدين". ولهذا فإن سرعة التحولات الدينية وعوامل مثل ارتفاع الرأسمال الثقافي والمعرفي، وفقدان الثقة في المؤسسات الدينية الرسمية وغيرها، وتملك الأجيال الحديثة لمصادر المعرفة الدينية، بإنتاجها وإعادة إنتاجها، كلها أسهمت في "تَشْظِية" المشهد الديني، ومن ثمَّ لم يَعُد الحديث عن "هوية متماسكة" ممكنًا، بقدر ما أصبح التدين الفردي يؤشر على نوع من الاستراتيجيات التي يتبناها الشباب، والتي خلق من خلالها هُوَّة بين التدين الجمعي والتدين الفردي، ولهذا يمكن الحديث عن موجة "التدين الشخصي" أو "شخصنة التدين".[2]

ان هذا التحول العميق في الممارسة الدينية لدى الافراد في الدول العربية يعتبر تحول عميق ناجم عن زيادة في وتيرة تغير البنى والأنماط الاجتماعية، حيث أصبحت المؤسسات الاجتماعية محدودة النطاق، وتراجعت البنيات التقليدية الموسعة.

بحسب باحث آخر، فأن الانترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي قد ساهمت في ظهور ما يسمى بالدين الرقمي Digital Religion، وهذا ما يمكن أن يشير -حسب ما أورده ذلك الباحث- إلى وجود فضاء دين روحي جديد، يمكن أن تمارس فيه كل مكونات الدين الرئيسة من معتقدات وطقوس وشرائع وغيرها؛ بل يمكن أن تكون هناك طقوس عملية، وهذا ما يؤدي إلى نشوء دور عبادة "شبكية"، مساجد أو كنائس أو معابد، تمارس فيها الطقوس الدينية جماعياً وفي وقت محدد.[3]

هذا الدين الرقمي يصاحبه تشتت المرجعيات الدينية الموحدة، وظهور طقوس قد تكون منافية للأصول الدينية، وهو ما يؤشر على تراجع سلطة الخطاب الديني التقليدي الذي كان لديه آلياته ومساراته ومرجعياته.

[1] رشيد جرموني، "في دينامية التحولات الدينية: ظاهرة التديُّن الفردي نموذجًا"، مركز نهوض للدراسات والبحوث، 16 سبتمبر 2021.

[2] المصدر نفسه.

[3] جمال بوسيف، "الممارسات الدينية داخل مواقع التواصل الاجتماعي دراسة استطلاعية على عينة من المستخدمين الجزائريين للفايسبوك"، مجلة "الاتصال والصحافة"، الجزائر، المجلد 6, العدد 1, يونيو 2019, ص ص. 162-179.

لـقـد مـنـحت الأنساق الـثـقـافـيـة اللامحدودة في العالم الرقمي ووسائل الـتـواصل الاجـتـمـاعي الـهـوية الـديـنـيـة دلالات جـديـدة تـتـجـاوز الـذات فـيـهـا المجالين المكاني والزماني. حيث أصبحت الثقافة الرقمية، بأبعادها وسياقاتها المتـنـوعـة والمنـفـتـحـة على الـفضاء العمومي الرقمي، مورداً مهما يوجه ميول الشباب ونظرتهم للعالم، فضلاً عـن تأطيرهـم وتـحـديـد وجـودهـم وإيـمـانـهـم. إذ استـفـاد الشبـاب مـن سهـولـة الـولـوج لـلـعـالـم الافتراضي وتصفـح مـحـتـوياتـه والمشاركـة فـيـمـا يتداول فيه. إن اتساع هوامش الحرية في هذا الفضاء شجع الشباب على حرية التعبير والتنقل عبر المواقع والتفاعل الـلامـحـدود مـع الـقضايـا المتـداولـة. والـواقـع أن الـثـورة الـتـكـنـولـوجـيـة والثقافية وإن منحت للمجتمع معنى آخر فـقـد وضعـتـنـا أمام صراع قوتين: العولمة والهوية.[4]

هذا العالم الرقمي حوَّل اهتمامات الشباب من الاستماع للإمام/ الخطيب في المسجد الى الاستمـاع لـلـداعـيـة مـن خلال الفضاء الافتراضي، حيث تجاوز المتلقي سلطة الخطاب المؤطر في فضاء مغلق، الى البحث بنفسه عن المعلومة الدينية ضمن الاتجاهات المختلفة.

ان التحول الأساس في مجال الممارسة الدينية في الوقت الحاضر يتميز بدخول العـالم الرقمي، حيث فُرضت رقمنة الدين، كضرورة أنطولوجية بالنسبة لكل الديانات الكبرى، دخوله للعالم الافتراضي والشبكات الاجتماعية، مما جعل منه موضوع مشاركة من قبل فـاعـلين مـتـعـددين، لـيـتـحـول بـذلك الشباب من متلقين سلبيين إلى فاعلين مـن خـلال تـداول الـقضايـا الـديـنـيـة في الشبكات العمومية الرقمية. وبالتالي فقد أحدثت العولمة والأنترنيت تحوّلات عـديـدة في المجـال الـديـني، في بـعـده الـوجـودي والـتـنـظـيـمي والشعـائـري، وأصبح العالم الرقمي فضاء للمنافسة حـول السلـطـة الـديـنـيـة بين فـاعـلين اجتماعيين متعددين، من قبيل رجال الدين والدولة والمؤثرين.[5]

وفـيـمـا يـخص المـمـارسة الـديـنـيـة والـعـلاقـات الاجـتـمـاعـيـة في الـعـالـم العربي، نجد أن الدين يؤدي وظائف اجتماعية واضحة، فمع تراجع نسق العلاقات الاجتماعية التقليدية ذات الـبـعـد الـعـلائـقي المبـاشر والـخـاص، وصعود الفردانية والانعزالية -نتيجة التحولات في المجتمعات العربية- فان الـحـدث الـديـني (خاصة اثناء ممارسة الـطـقـوس الـجـمـاعـيـة) يـعـد فـرصة استثنائية في إعادة التذكير بالحياة الجماعية التضامنية. فكثير من الناس لا يـجـدون غير الـزمـن الـديـني الـذي يقتحم الزمن الاجتماعي (اللاديني) لترميم نسيج العلاقات الضعيفة، أو المستعصية، ورتـق الـتـمـزّقـات الـتي

منحت الأنساق الثقافية اللامحدودة في العالم الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي الهوية الدينية دلالات جديدة تتجاوز الذات فيها المجالين المكاني والزماني.

[4] هدى كريملي، "الثّقافة الرقمية ورهان الهويّة الدينية عند الشّباب المغربي"، مجلة "إنسانيات"، الجزائر، العدد 95, مارس 2022, ص ص. 77-100.

[5] المصدر نفسه.

إفطار جماعي يومي في رمضان 2023 لأكثر من 4000 طالب أجنبي في جامعة الأزهر في مصر

تصيبها في معيشها اليومي المتواتر. فالأعياد مثلاً (عيدي رمضان والأضحى المباركين)، مع كونهما مناسبات دينية، إلا انهما في نفس الوقت يعدان ظواهر اجتماعية، بما أنهما يعاشان بمفاهيم وتصورات ثقافية في إطار علاقة توجيه وتأثير قوية للواقع الاجتماعي للأفراد وانتظاراتهم ورهاناتهم الخاصة أو الجماعية، ولكنها في نهاية الأمر مجتمعية الفعل والتفاعل[6].

## توجه الشباب نحو الممارسات الدينية في العالم العربي

من الواضح هنالك تحولاً كبيراً في علاقة الشباب دون سن الـ 30 عاما بالدين وممارسة الشعائر الدينية في العالم العربي. إذ يتزايد عدد من يقبلون على التدين مؤخراً قياساً بعددهم في عام 2018، بحسب استطلاع جديد أجرته شبكة "البارومتر العربي" لصالح موقع BBC. وكانت الشبكة قد أجرت استطلاعا مماثلًا في أواخر عام 2018 وربيع عام 2019 شمل الفئة نفسها من المبحوثين, ووجهت إليهم نفس الاسئلة, لكن الإجابات كانت مختلفة للغاية بين المدتين. فقبل أقل من 4 سنوات خلص الاستطلاع إلى أن عددا متزايداً من العرب أداروا ظهرهم للتدين وممارسة الشعائر الدينية. ورصد الاستطلاع وقتها أن ثلث التونسيين وربع الليبيين وصفوا أنفسهم بغير المتدينين, أما في مصر فقد, أشارت نتائج استطلاع عام 2018 إلى تضاعف عدد غير المتدينين, بينما تضاعف حجمهم أربع مرات في المغرب. وما كان لافتاً في ذلك الوقت هو أن الزيادة الكبرى في أعداد غير المتدينين كانت بين الشباب ممن هم دون الثلاثين عاما, إذ ارتفعت نسبتهم بـ 18 في المئة[7].

[6] شهاب اليحياوي، "الممارسات الدينية المشتركة في المجال الحضري: دينامية تشبيك اجتماعي"، موقع "مؤمنون بلا حدود"، 11 يناير 2020.

[7] نغم قاسم، "لماذا تشهد علاقة الشباب العربي بالدين تحولا؟"، عربي NEWS BBC، 11 يوليو 2022.

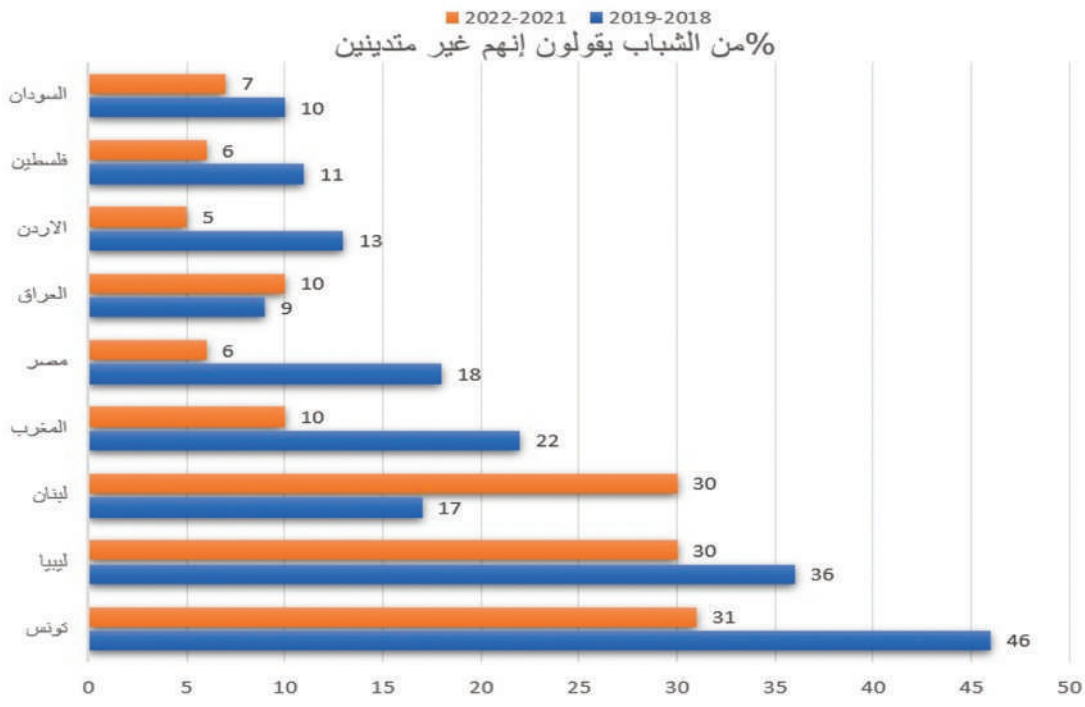


مصدر المخطط: نغم قاسم، "لماذا تشهد علاقة الشباب العربي بالدين تحولا؟"، عربي NEWS BBC، 11 يوليو 2022.

لكن بحسب استطلاع الرأي الأخير لشبكة"الباروميتر العربي"، شهدت تونس وليبيا والمغرب والسودان ومصر والأردن وفلسطين، تراجعا في عدد من وصفوا أنفسهم بغير المتدينين من كل الفئات العمرية. فيما كشف الاستطلاع أن مزيداً من مواطني هذه البلدان باتوا يصفون أنفسهم بالمتدينين. وبحسب استطلاع2022, شهد المغرب انخفاضاً بـ7 في المئة في عدد من وصفوا أنفسهم بأنهم غير متدينين بين كل الفئات العمرية, تليه مصر بانخفاض بنحو 6 في المئة, ثم تونس وفلسطين والأردن والسودان بانخفاض بنسبة 4 في المئة. أما في فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن الـ 30 عاما, فشهدت تونس التراجع الأكبر في عدد الشباب الذين وصفوا أنفسهم بأنهم غير متدينين. فاليوم, يصف نحو ثلثي الشباب التونسي المشارك في الاستطلاع أنفسهم بالمتدينين, وهو تراجع كبير مقارنة باستطلاع عام 2018, الذي وصف فيه نحو نصف الشباب التونسيين المشاركين فى الاستطلاع أنفسهم بأنهم غير متدينين. إذ يقول 10 في المئة من الشباب المغاربة و6 في المئة من الشباب المصريين المستطلعة آراؤهم إنهم ليسوا متدينين[8] (ينظر للمخطط أدناه).

## الصراع على امتلاك فضاءات الممارسة الدينية في العالم العربي

تؤدي المؤسسات الدينية الرسمية أدواراً متعددة في معظم العالم العربي، هذه الواجبات الدينية التي ألزمت الدولة نفسها بها انتجت سلسلة من البيروقراطيات التي لا تحوز دوماً القدرة على العمل ككل متّسق. ولأن مؤسسات الإسلام الرسمي تطوّرت كحصيلة لصعود الدولة الحديثة وبموازاتها، فإنها عكست أيضاً حقيقة الدولة المتوسّعة. وهذا شمل

[8] المصدر نفسه.

صلاة عيد الأضحى 2015 في مدينة الفاشر في السودان

سيطرة الدولة وإشرافها على مروحة من النشاطات الدينية، حتى ولو لم تكن سلطتها مُطلقة[9].

يبدو أنّ رهان الخطاب الرسمي، من خلال تصريحات بعض الأئمة والمسؤولين المحلّيين والمركزيين، هو تحويل المجال الديني إلى شأن إداري وسياسي وثقافي، والعمل على الانتقال بهذا المجال ليكون عنصرا يساهم في "بناء" أو"تبرير" الخطاب حول المشروع الوطني الحالي و« تأمين أو حماية" هذا المشروع من اختراقات متوقّعة لـ«الجماعة الوطنية"، مصدرها جماعات دينية أو أحزاب سياسية أو سرديات تتضمنها بعض منصّات التواصل الاجتماعي، قد تكون سببا في "تهديد الوحدة الوطنية".[10]

إن المؤسسات الدينية الرسمية تلعب أدواراً متعددة، تشمل الانخراط في قطاعات الأوقاف، والبر والإحسان، والإرشاد، وتفسير النصوص الدينية، والتعليم، والصلاة، وقانون العائلة، والإعلام المرئي والمسموع. تتعرّض سلطة الأصوات الدينية الرسمية على نحوٍ مطّرد إلى التحدي من قِبَل أطراف غير رسمية. بعض هذه الأطراف توجد كليّاً خارج الهياكل الرسمية، لكن بعضها الآخر قد يجد ملاذاً في أجزاء تتمتع بقدر من الاستقلال الذاتي في المؤسسات الدينية، ما يضيف مزيداً من التعقيد على المشهد الديني في العديد من البلدان.[11]

لعل التأطير الرسمي للخطاب الديني وتردي بنية هذا التأطير، قاد الشباب الى الخروج من هذا السياج وهو رفض للمؤسسات الرسمية وكل خطاباتها. فقدان الثقة في الإنتاج الخطابي للمؤسسة الرسمية قاد الى تباين الانتماءات للخطابات خارج الرسمية. ويبقى هذا الفضاء الديني في العالم العربي فضاءاً صراعياً بين مستويين من

[9] ناثان براون، "الإسلام الرسمي في العالم العربي: التنافس على المجال الديني"، مركز مالكوم كير-كارينغي الشرق الأوسط، 11 مايو 2017.

[10] جيلالي المستاري و فؤاد نوار و مصطفى مجاهدي،"الشباب وخطابات المرجعيات الدينية في الجزائر: نتائج دراسات ميدانية "، مجلة "إنسانيات"، الجزائر، العدد 95, مارس 2022, ص ص. 37-76.

[11] براون، المصدر السابق.

مظاهر الزينة في أحد جوامع العاصمة اللبنانية بيروت ابتهاجاً بقدوم شهر رمضان في العام 2017.

الامتلاك، الجزء منه رسمي والأخر غير رسمي، وهذا ما يعكس-في النهاية- الحالة المتواجدة عليها الفضاءات غير المتصالحة-في المجمل- بين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

ان امتلاك فضاءات الخطاب الديني، وممارسته، يعتبر رهاناً اجتماعياً وهوياتياً مهماً، يحدد في النهاية مفصلاً من مفاصل التحكم في المجتمع. ففي التجربة الجزائرية مثلا، تمثل حرص الدولة على استعادة المجال الديني بشكل جلي، من خلال دمج مسألة الدين في خطاب الدولة الاستيعابي وعدم ترك المجال مفتوح لقطب معارض قد يتشكل، بخاصة بعد سلسلة من التحذيرات التي وجهت للدولة من علماء الدين، وبعد أدراك الدولة لخطورة هذه الفضاءات إذ لم توضع تحت رقابتها الصارمة. لذلك عمدت الدولة الجزائرية إلى تبني استراتيجية مزدوجة، تقضي من جهة بالوضع التدريجي للآليات القانونية والعملية لبسط نفوذها على المسجد (المؤسسة الدينية)، وإلحاقه بسلطتها ليصبح أحد قنواتها السياسية والإيديولوجية مثل باقي المؤسسات، ومن جهة ثانية بإعادة التأثير في المجال الديني من خلال إعادة هيكلة المؤسسات التي تقوم بتكوين الأئمة.[12]

امتلاك فضاءات الخطاب الديني، وممارسته، يعتبر رهاناً اجتماعياً وهوياتياً مهماً، يحدد في النهاية مفصلاً من مفاصل التحكم في المجتمع.

## الخطاب الديني وأشكال الممارسات الدينية في العالم العربي

هنالك من يعتقد ان الخطاب الديني (حول الإسلام تحديداً) يواجه حالة من العجز، وأن هذا الخطاب لم يعد يواكب- أو لا يواكب بما فيه الكفاية -

[12] للمزيد ينظر: عماري مصطفى، "العمل الجمعوي والحقل الديني بالجزائر بين المأسسة ومقاومة التغيير: الجمعيات الدينية المسجدية أنموذجا"، مجلة أنثربولوجيا، الجزائر، مجلد 2016, العدد 3, 3 مارس 2016, ص ص. 111-131.

ما حملته وسائل الإعلام الجديدة من مزايا كبرى، لم تكن مباحة أو متاحة في زمن الندرة التكنولوجية سابقاً، حيث كانت "الرسالة" محصورة في المساجد، أو في الحلقات النقاشية الضيقة، أو من بين ظهراني بعض النوادي النخبوية المغلقة، فكان أثرها محدوداً ومفعولها غير ذي وقع كبير بالنفوس والعقول المنطلقة من مجريات الواقع الحالي[13]. وفي الوقت نفسه هنالك من يعتقد ان الخطاب الديني هو خطاب أفراد وجماعات، وهو يمثل فهمهم للإسلام وقراءاتهم لنصوصه ونطقهم لأفكاره ومفاهيمه وتعاليمه وآدابه وحكمه وتشريعاته.

ساهم الإعلام الديني في إنتاج سوق للفتوى، لكن المفارقة في هذا الأمر، هو حفاظ الفتوى على مكانتها وقدسيّتها كخطاب ديني ومرجع بالنسبة إلى الإنسان العربي- المسلم، رغم التحوّلات السالفة الذكر، دون أنْ يمنعنا ذلك من القول بوجود تغيّر في طبيعة الإفتاء وصناعته، شكلًا ومضموناً، حيث انتقل الإفتاء بدوره، مع الوسائط الإعلامية الجديدة، من المأسسة إلى الشخصنة، ومن المباشرة إلى الوساطة، ومن الواقعي إلى الافتراضي؛ فعلى غرار "الدعاة الجدد"، أصبحنا أمام "المفتون الجدد". كـــــــلّ ذلك أفضى ويفضي باستمرار، إلى ممارسات دينية لا متجانسة. وانتج "الدعاة الجدد" خطاباً مغايراً للأنماط التقليدية، يتمخض عنه طقوس وممارسات دينية جديدة أيضا، خاصة لدى المتلقين الذين لا يداومون على الاستماع لأنماط الخطاب التقليدي وفي الفضاءات الكلاسيكية (المساجد ودور العبادة). يتميز خطاب الدعاة الجدد أنه نوع من الخطاب الذي يتواصل به هؤلاء مع الجمهور، وهو أنهم دعاة يهتمون أساسا بالأخلاق والعبادات والنواحي السلوكية، وبعض قضايا العقيدة، ومحاسبة النفس.

ان التحولات المتتالية التي حدثت في العالم العربي منذ فترة ليست بالقصيرة، أثرت في العديد من المنظومات الاجتماعية ومن بينها النسق الديني. لقد كان الدين التقليدي طقوسياً يرتبط بالأساسيات الأولية لممارسته من طرف الجماعات الاجتماعية المختلفة، لكن مع التحول في المجتمعات العربية وزيادة نسب المتعلمين وظهور فئات اجتماعية جديدة منقطعة نسبيا مع الجيل القديم، كل هذا أدى الى بروز تساؤلات عن الأصول الدينية و مسائل الممارسة الدينية لدى الأجيال الجديدة.

مع ظهور الطفرة الإعلامية و تخصيص القنوات الفضائية - ذات الانتشار الواسع في العالم العربي- لحصص دينية في برامجها، أدى ذلك الى بروز "أعلام" دينيين يتصدرون المشهد الديني العربي. ولكن مع تراجع دور الاعلام الفضائي وبروز الاعلام الديني في

انتقل الإفتاء بدوره، مع الوسائط الإعلامية الجديدة، من المأسسة إلى الشخصنة، ومن المباشرة إلى الوساطة، ومن الواقعي إلى الافتراضي؛ فعلى غرار "الدعاة الجدد"، أصبحنا أمام "المفتون الجدد".

[13] عبد السلام محمد السعدي وفلاح خلف كاظم الزهيري، "واقع الخطاب الديني واطروحات تجديده"، المجلة السياسية والدولية، العراق، مجلد 2019, العدد 39-40, 30 يونيو 2019, ص ص. 499-522.

وسائط الاعلام الالكتروني، حدث انشطار في الفتوى وفي الخطاب الديني ولم تعد هناك مرجعيات واضحة يستند اليها المتدينون والممارسون للفعل الديني.

إن السمة الغالبة على الحالة الدينية في إطار العالم الافتراضي تتمثل بشكل أساس في السيولة المعلوماتية، التي تشير إلى حالة من التفكك واللايقين واختفاء السلطة المعرفية الدينية، أي اختفاء القوة الصلبة المرجعية، لصالح انتشار ظواهر الحرية والتعددية الفكرية غير المنضبطة.[14]

يلاحظ ان تأثير المؤسسة الدينية الرسمية التقليدية قد تراجع، وأصبح الفضاء الديني مجالاً للصراع، بل أبعد من ذلك، فهذا الفضاء شكل خطراً في بعض الحالات على تماسك المجتمعات العربية، من خلال صعود خطابات التكفير والجهاد ضد أبناء المجتمع الواحد، وهذا لا يخلو طبعا من توظيف جهات خارجية للفضاء الرقمي في توجيه المتدينين، وخلق صورة نمطية عن الدين باعتباره مضادا للتعايش والتفاهم المشترك.

يبدو أننا في العالم العربي إزاء عمليات تحول فى أنماط التدين الشعبي والشعبوي معاً، الافتراضي/ الرقمي، وفي الحياة الدينية الرقمية، وسيكون لذلك تأثيراته على الواقع الفعلي. ثمة علاقة تفاعلية بين أنماط التدين الشعبوي والشعبي السائدة في العالم العربي، وتاريخها، وتغيراتها و محمولاتها من الثقافة الشعبية المتداخلة مع التدين الشعبي والفلكولوريات، وبين الثقافة الدينية الرقمية الشعبية و الشعبوية معاً[15].

## الخاتمة

تحتاج مسألة تقييم الممارسات الدينية في العالم العربي الى تحليل محايد غير مؤدلج لفهم واقعها من مداخل سوسيولوجية، ودون مؤثرات مسبقة تصنف تلك الممارسات وفق الخلفيات السياسية.

لقد شهد العالم العربي تحولات تاريخية، وفي كل محطة تبرز لنا ممارسات دينية مرتبطة بخطابات تحاول ان تصوغ الممارسة الدينية وفق رؤية القوى السياسية والاجتماعية للدين.

ان الفضاء الديني في الأساس هو فضاء رهاني تحاول كل قوة اجتماعية السيطرة عليه، لتحقيق منافع وتموقعات داخل الفضاء الاجتماعي.

[14] مهجة مشهور، "التدين الرقمي"، موقع "خطوة" للدراسات والتوثيق، 27 نوفمبر 2022.

[15] نبيل عبد الفتاح، "التدين الشعبوي الرقمي والفعلي والحالة الدينية في مصر وتونس: الأنماط والتحولات"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 14 يوليو 2022.

## عن المؤلف

### أ.د. فوزي بن دريدي

فوزي بن دريدي: أكاديمي وخبير من الجزائر, مدير كرسي الأليكسو (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ALECSO) لدراسة المجتمعات العربية, أستاذ دكتور في علم الاجتماع في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس في الجزائر.


## حقوق النشر والتأليف

أنقرة - تركيا / أورسام 2023 © ORSAM

حقوق طبع محتوى هذا المنشور هي حصراً لأورسام .ORSAM باستثناء الاقتباسات المقبولة والجزئية, والتي يتم استخدامها بموجب قانون الأعمال الفكرية والفنية رقم 5846, عبر الاقتباس الصحيح, لا يجوز استخدام محتوى هذا المنشور, أو إعادة طبعه ونشره بدون إذن مسبق من أورسام ORSAM, الآراء الواردة في هذا المنشور تعبر عن وجهة نظر مؤلف هذا المنشور, ولا تعبر عن الرأي الرسمي لأورسام .ORSAM



**Center for Middle Eastern Studies** مركز دراسات الشرق الأوسط

**العنو ان :** أنقر ة/جنقايا/ محلة "مصطفى كمال"/ زقاق 2128 / بناية 3

**هاتف :** 20 15 888 850 90+

مصدر الصور المنشورة: **Anadolu Agency**